

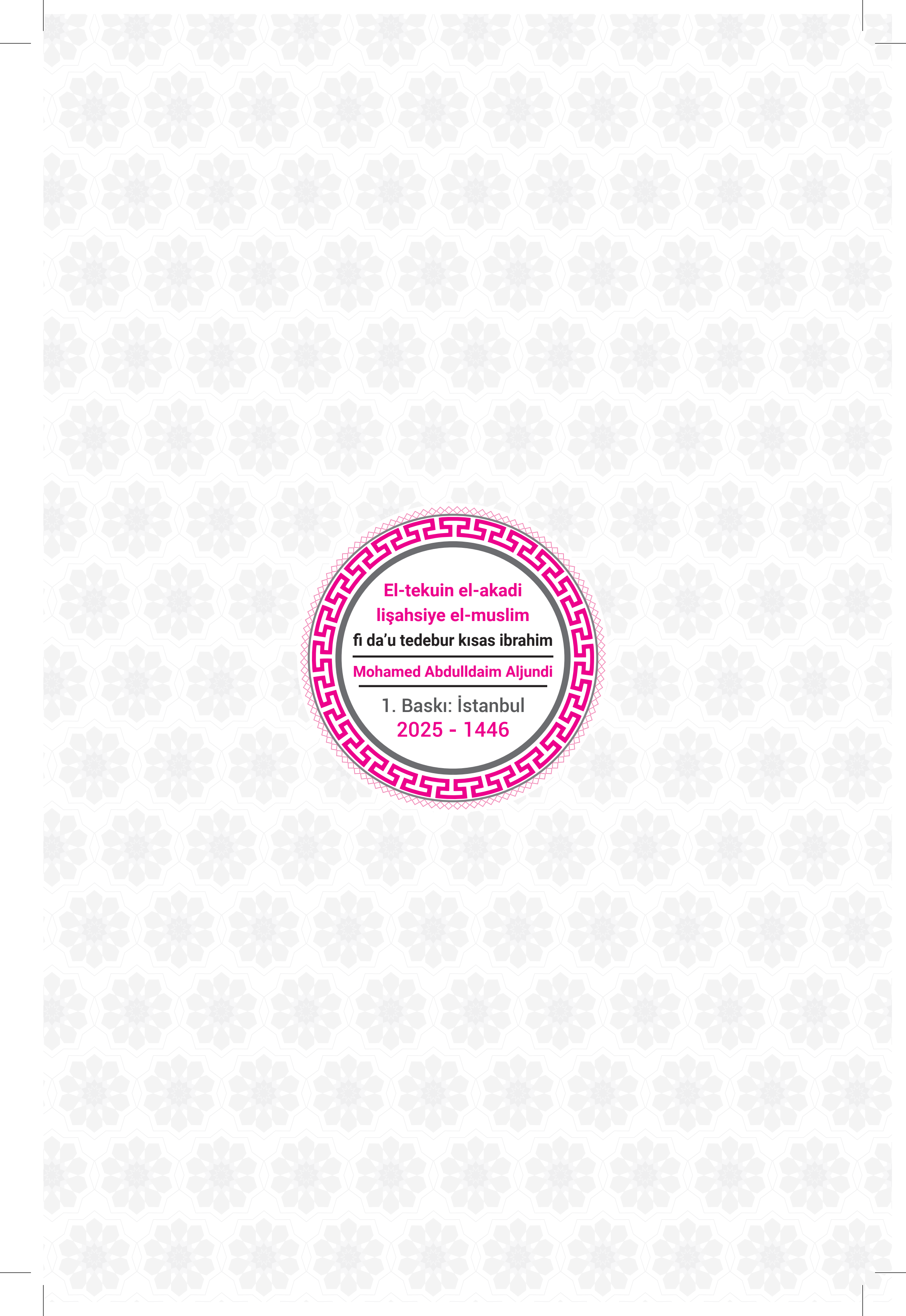
التكوين العَقَدي لشخصية المسلم

في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

الدكتور
محمد عبد الدايم علي سليمان






El-tekuin el-akadi
lişahsiye el-muslim
fı da’u tedebur kısas ibrahim
Mohamed Abdulldaim Aljundi
1. Baskı: İstanbul
2025 - 1446



التكوين العقدي لشخصية المسلم

في ضوء تدبُّر قصص إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن

دراسة موضوعية

إعداد

د. محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان بجامعتي الأزهر بالقاهرة، والملك فيصل كلية الآداب بالإحساء وعضو جمعية العقيدة والأديان بالجامعة الإسلامية





التكوين العقدي لشخصية المسلم

في ضوء تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن

د. محمد عبد الدايم الجندي

القياس: 14 X 21 سم

عدد الصفحات : 96 ص

ISBN: 978-625-5521-00-2

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

تدبر
الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم
22762 Doha,Qatar
+974 44181826
tadabborq@gmail.com

مكتبة الأسرة العربية
خيارك الأفضل للمعرفة الآمنة

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09 - +90 555 028 11 55
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 65276



UFUK NEŞRİYATIN® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: ERG Matbaacılık sanayi Ltd. Litros Yolu - Topkapı / İstanbul





مقدمة

الحمد لله الذي فتح بمفاتح الغيوب أقفال القلوب، وعجزت العقول عن إدراك كنه ذاته، وتاهت فهوم الفحول في درك عظمة بيان كتابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد بألوهيته، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الزهاد، وقدوة العُبَّاد، صلاة وسلامًا عليه وعلىٰ آل بيته الأطهار، أما بعد:

ففي متابعة لقصة التدين في صعودها الشاهق، وانحدارها الساحق في ذاتية الإنسان، بين عقول قاصرة، وأهواء حائرة، وبين حلول غيوم التمدن، وأفول شمس التدين، تبحث شخصية المسلم عن التدين في أسمىٰ معانيه، وفي أبهىٰ صوره ومبانيه، لأنه فطرة في تكوينها، فتتسنم ذروة بحثها متدبرة في آي الله في القرآن لتجسِّد لعِبَره في كينونتها، وترسم لها في ملامحها، وتعد قصص إبراهيم من وابل عظيم مغمور بالعبر في القرآن نموذجًا لتوجيه الأصول الداخلية للشخصية (الروحية، القلبية، العقلية) إلىٰ الله تعالىٰ بالكلية، فهذه الأصول في شخصية المسلم بمثابة جناحين يرتفع بهما ويرقىٰ عن حمأة المادة المظلمة إلىٰ مشرق العقيدة المضيئة، وقد دعا الإسلام هذه الأصول التكوينية إلىٰ التوجه لله تعالىٰ بالكلية، وطالبها بتوحيده

واليقين فيه عبر قنوات التأثير الوجدانية والتأملية والفطرية، حتىٰ تصير شخصية المسلم في صلتها بربها نزيهة نقية خالية من معكرات الصفو ومكدرات النقاء.

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومنهجه الرباني، إذ يُعد منهج «إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ» نموذجًا مهمًّا في بناء شخصية المسلم علىٰ أساس متين من العقيدة الصحيحة، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتهتدي إلىٰ نور التوحيد.

وتلك مهمة القرآن؛ فـ «إطالة التأمل في القرآن تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلىٰ طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتثبِّت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتبصِّره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاتِه وأفعالَه، وما يحبه وما يبغضه وصراطَه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب

أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه»[(١)].

ولقد أشاد القرآن الكريم بمواقف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النبيلة الثابتة، وشهد له بعزيمته القوية الصادقة لا سيما مع أبيه في سبيل دعوته إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، وقد كان من خصائص دعوته الشمول والواقعية، وذلك ليس بدعًا في الدين، فهو من طبيعة المنهج الذي يرسم له هذا الدين القيم، والذي نستمد منه يقيننا الراسخ الذي لا يتزعزع.

وإن البشرية لتحتاج إلىٰ فهم منهج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتحتاج إلىٰ الاستفادة من قصصه التي تنبع من اليقين وتتدفق به، ومهما مضت البشرية في اعتساف تجارب متنوعة هنا وهناك -كما هي الآن ماضية في الشرق وفي الغرب سواء- فلا مناص من نهاية هذه التجارب عند حدٍّ بعينه، فهذه التجارب كلها تدور في حلْقة مفرغة مؤقتة، وداخل هذه الحلقة لا تتعداها حلقة التصور البشري القاصر المحدود، والتجربة البشرية العقلية المجردة الضيقة، والخبرة البشرية العاجزة المشوبة بالنقص والوهن والضعف والهوىٰ، بخلاف منهج

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ١/ ٤٥١.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإخوانه من المرسلين، فهو منهج رباني موصوم بالكمال لا بالنقص، وبالقدرة وليس الضعف، وبالحكمة لا بالهوىٰ؛ إنه منهج يدعو إلىٰ تخليص البشرية من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد، وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع مثال في بيان هذا المنهج الرباني، ومنها ما جاء في قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤- ٧٩]، وقال تعالىٰ أيضًا عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم: ٤٢- ٤٦].

فيا لمنهج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ! إنه منهج بنائي دقيق لشخصية المسلم؛ يؤصل للتوحيد بصورة عملية حوارية رائعة، تقوم علىٰ الحجة والبرهان والعقل، وتربي القناعة وتزيل الشك، ومن صور ذلك قوله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٧٠].

ولما كان منهج إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ دستورًا في تقويم بناء شخصية المسلم؛ أصبح من الضرورة دراسة الآيات التي تحدثت عنه إثباتًا للتوحيد كما عرضه القرآن الكريم من حيث أهميته وضرورته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب علىٰ كل مسلم تجاهها، فيجعلها نصب عينيه ويلتزمها في كل شؤون حياته العلمية والعملية، حتىٰ تكون همَّ حياته ومصدر سعادته، مدركًا أنه لا معنىٰ لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استنباطُه وتطبيقاتُه والاستفادة منه في بناء الشخصية المسلمة، ومن ثَمَّ بناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن، ومدىٰ تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك، ومن هنا يتصدر موضوع البحث (**التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن**) أهم الموضوعات التي نحن في أَمَسِّ الحاجة إليها لبناء شخصيتنا علىٰ يقين عقدي لا يزول وإن زالت الشوامخ العوالي، لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير من الناس، وتبلبلت أفكارهم تجاه دينهم وشريعتهم، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس علىٰ أحكام الله، أو إهمالهم

أوامر الله ونواهيه، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات؛ إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم، أو لعدم جدواهم في اتباع قواعدها المرسومة وَفْقَ شريعة الله تعالىٰ، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

الهدف من البحث:

تهدف الدراسة إلىٰ الوقوف علىٰ قصص القرآن المرتبطة بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والتدبر والتفكر فيها، والتعلم منها كيفية غرس العقيدة كأساس في بناء وترسيخ ملامح النهوض التكويني في شخصية المسلم.

منهج الآيات في عرض موضوع الدراسة:

إنّ منهج الآيات بمجموعها وحسب تناولها الموضوع تدور حول محورين رئيسين:

المحور الأول: بيان تكوين القصص الإبراهيمي للجوانب الأصيلة في شخصية المسلم.

المحور الثاني: بيان تناغم الموارد الأصيلة للكينونة الداخلية في المسلم ورسائل الحواس من خلال دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أما منهجي في عرض الموضوع، فإنني ذكرت الآيات التي تناولت الأساليب النظرية والعلمية في بناء الشخصية المسلمة عل أصول الدين وما يتعلق بها، وتفسير الآيات وبيان ما بينها من الصلة والترابط، وذكرت ما فيها من الفوائد والآداب والإرشادات والتوجيهات الربانية الكريمة، مدعِّمًا ذلك بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية الشريفة، وقد اعتمدت في منهجية الدراسة علىٰ المنهج الموضوعي.

خطة البحث:

اشتمل البحث علىٰ: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع ولأهدافه، ولمنهج الآيات في عرض الموضوع، ولخطة البحث.

التمهيد: حول مفهوم التدبر.

المبحث الأول: تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم.

المبحث الثاني: أثر تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ربط الميل القلبي بالله تعالىٰ.

المبحث الثالث: أثر تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالىٰ.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.



التمهيد

حول مفهوم التدبر





عند البحث في معنىٰ التدبر نجده من الكلمات الواردة في القرآن علىٰ أصل معناها اللغوي في أغلب استعمالاته، وفيما يلي بيان ذلك:

مفهوم التدبر:

جاء في لسان العرب «دبَّر الأمر وتدبَّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرًا أي بآخره، فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة... والتدبر في الأمر: التفكر فيه»[1]، و«التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته»[2].

وفي التعريفات: «التدبر: النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»[3].

وفي معجم مقاييس اللغة: «التدبر من: دَبَرَ بفتح الدال والباء وجُلُّه في قياس واحد، وهو: آخر الشيء، وخلفه؛ خلاف قُبُله»[4]،

---

(١) لسان العرب، محمد بن منظور (ط. دار صادر، بيروت، د.ت)، ٤/ ٢٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٣.
(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة، سنة ١٣٩٩هـ)، ص١٦٧.
(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ)، ٢/ ٢٦٦.

وقيل: «تَدَبَّرْتُهُ تَدَبُّرًا: نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره»[(١)].

المراد بتدبر القرآن:

دارت كلمة (التدبر) لآي الله في القرآن حول عدة معانٍ منها (التأمل، التفكر، الاعتبار، التعقل، الامتثال، التفهم)، ونذكر فيما يلي بعضا من أمثلته:

يقول ابن القيم في تدبر القرآن: «هو تحديق ناظر القلب إلىٰ معانيه وجمع الفكر علىٰ تدبره وتعقُّله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: ٢٤]، وقال تعالىٰ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف: ٣]»[(٢)].

وقال: «وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء علىٰ بناء التفعُّل كالتجرُّع والتفهُّم والتبيُّن»[(٣)].

---

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت)، ص١٠٠.
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ١/ ٤٥١.
(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ١/ ١٨٣.

وجاء في أضـواء البيان: «تدبر آيـات هذا القرآن العظيم أي: تصفَّحَها، وتفهَّمها، وإدراك معانيها، والعمل بها»[١]، قيل: «التفكر الشامل الواصل إلىٰ أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة»[٢]، إذن «تدبُّر القرآن هو تفهُّم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ علىٰ ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك؛ بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامـره، وأخـذ العبرة منه»[٣].

وفي الإتقان: «وتُسَن القراءة بالتدبر والتفهم، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنىٰ ما يلفظ به، فيعرف معنىٰ كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضىٰ اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرع وطلب»[٤].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٧/ ٤٢٩.

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالىٰ، عبد الرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم، دمشق طبعة ثانية، ١٤٠٩هـ)، ص١٠.

(٣) تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدىٰ الإسلامي، طبعة أولىٰ، ١٤٢٢هـ)، ص١١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت)، ١/ ١٢٧.





المبحث الأول

تدبُّر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم





إن توجهات الإنسان في ذاتها مجردة –بلا عقيدة دافعة– مجرد مسالك خاوية ومهاوٍ سحيقة، عديمة الحياة، فقيدة الروح، والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشرقة من روح الإيمان المكونة لروحية الإنسان، والروح نفسها بلا إيمان لن تشرق، إنها تكون عديمة مقفرة، ولا تنبت نبتة الإيمان في روح باردة لأنها لا تنتج، ولا يعدو صاحبها كونه كائنًا يدب علىٰ وجه الأرض في صورة بشر، ومن دعائم روحية الإنسان ومكونات إيمانه تدبُّر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وقبل أن نطوف في ظلال ذلك نعرِّف بالجانب الروحي:

حول مفهوم الجانب الروحي:

إن الجانب الروحي مبعثه الروح، والروح في اللغة: «ما يقابل المادة، والروحية تقابل المادية، وتقوم علىٰ إثبات الروح وسموها علىٰ المادة»[1]، علىٰ اعتبار أن «الإنسان مركب من روح وجسد، والروح هو الأول في الوجود، ثم تألف الجسد من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقرًا لهذه الروح ومظهرًا لها، والروح نورانية لطيفة،

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب الراء، مادة (روح)، ص٣٩٤-٣٩٥.

والجسم مظلم كثيف، وهي قوة فعالة، وهو متغير ضعيف، ولما أراد الله خلق الكائنات، خلق خلقًا نورانيًّا عظيمًا جدًّا في خلقه، قويًّا جدًّا في تأثيره، وهذا المخلوق هو الروح»[1].

إذن الروحية هي الأصل والمادية طرأت عليها، فالروح أولًا، وهي طرف الحوار الذي أشهد الله فيه الإنسانية علىٰ ربوبيته وصِدْق ألوهيته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[الأعراف: ١٥٢].

وهذا الموطن هو الذي يحمل معنىٰ الروحية في الإنسان، لأنه يقابل المادية فيه، والتي يحملها الجسد بتكوينه الأرضي، أما باقي ما ورد من كلمة (الروح) في الكتاب العزيز فهو يحمل معانيَ متباينة «ولفظ الروح تكرر في القرآن الكريم إحدىٰ وعشرين مرة»[2].

ومبني كلامي هنا علىٰ أساس أن الروح هي وجدان الإنسان الداخلي، وضميره المستتر الذي يستشعر ويرهف ويتذوق، وذلك لا يعد كشفًا لحقيقة الروح، فهي أكبر من أن نعرفَها ونطلعَ علىٰ حقيقتها نحن البشر حيث قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥].

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولي، د.ت)، ص٣٨٧.

(٢) العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوي، (طبعة دار السعادة، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٨هـ، سنة ١٩٩٨م)، ص٢٠٠.

وما ورودنا عليها إلا لدرك فهمها، ومعرفة لحركتها من خلال مظاهرها وإشاراتها المستمرة، فالروح في اصطلاحنا الذي نسير عليه: هي الكيان الداخلي للإنسان.

تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتحريك الجانب الروحي نحو الإيمان:

إن قصص إبراهيم مع قومه في القرآن يعد تحريكًا فاعلًا لقوة الروح المتحكمة في توجيه العزائم والهمم نحو توحيد الله تعالىٰ في الشخصية المسلمة، وتحريك الهمم لا شك أنه يبدأ من قوة العقيدة الصحيحة، فالعقيدة لها الحاكمية المطلقة علىٰ تصرفاتنا ومدىٰ دقتها وإتقانها، ومن خلالها ينفذ الطابع الأخلاقي «والحياة الروحية في الإسلام تجرىٰ علىٰ سنن القصد الصالح للحياة البشرية، لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عن سبيل الآخرة»[1]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالله سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًّا ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن

---

(١) الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد، (طبعة دار نهضة مصر، د. ت)، ص١٥١.

رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفىٰ تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوىٰ الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلًا»[1].

وقال: «ولا يبتغي القلب سوىٰ معبوده الحق بدلًا، فلا ريب أن هذه الكلمة (يقصد كلمة التوحيد) من هذا القلب علىٰ هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلىٰ الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلىٰ الرب تعالىٰ، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كَلِمًا كثيرًا طيبًا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]، فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملًا صالحًا كل وقت...»[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ١/ ١٣٢-١٣٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ١/ ١٣٢-١٣٣.

وقصص إبراهيم في القرآن تبني في كينونة الشخصية معالم الحياة الروحية بقوة علىٰ أعمق صور الإيمان بالله؛ فمثلًا في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٧٨] نجد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «يقصر الهداية إلىٰ الحق علىٰ الله تعالىٰ دون آلهتهم، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أهل العقول بأن الذي يهدي إلىٰ الحق يوصل إلىٰ الكمال الروحاني وهو الكمال الباقي إلىٰ الأبد، وهو الكون المصون عن الفساد، فإن خلق الأجساد مقصود لأجل الأرواح، والأرواح مراد منها الاهتداء، فالمقصود الأعلىٰ هو الهداية، ولما كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ؛ احتاجت النفوس إلىٰ هدي يتلقىٰ من الجانب المعصوم عن الخطأ وهو جانب الله تعالىٰ، فلذلك كان الذي يهدي إلىٰ الحق أحق أن يتبع لأنه مصلح النفوس ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلًا واتباع غيره لا مصحح له؛ إذ لا غاية ترجىٰ من اتباعه»[1].

قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتوجيه الأرواح لتوحيد ربها:

ما إن تتكون في شخصية المسلم حياة روحية إيمانية قوية؛ إلا ويصدح بما صدح به إبراهيم من حين عبَّر عن تجرد روحه من المؤثرات الشركية وعوارضها، منتسبة إلىٰ بارئها بكليتها، قال تعالىٰ

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ١١/ ٧٧.

في ذلك: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٩-٨٠].

إن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلال ما ذكره الله علىٰ لسانه يكوِّن في شخصيتنا ينبوعًا وجدانيًّا، يناجي ضميره ويناغيه في صميم معناه، ويناقشه في سويداء قلبه، ويبين له قيمة عنصره ورقي جوهره إذا أحسن الوجهة لله تعالىٰ، ويكاشفه بجمال ذاته إذا أفرد مولاه بالتوحيد ونبذ الشرك، ويفصح له من سوءات الدنيا قصر مدتها، وتزاحم آلامها وشدة محنتها، ويهون في عينه كل شديد ويلتذ بكل عذاب، ويستلفته إلىٰ الذين وقفوا قواهم في حبها وعبدوها واستنفذوا طاقتهم في إرضائها، ولم تزل كلمات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسلم كلما تدبر معانيها في القرآن؛ ينبوعًا صافيًا يوقظه من سكرته، ويبعثه من غفلته، ويستولىٰ عليه بكُليته ثم يفتح له من جانب روحه نافذة تطل به علىٰ كنوز معناه من ذخائر الصفاء المعنوي، ولطائف مكنون النعيم الروحي، وحقائق السعادة الأبدية، وما إن يصل إلىٰ هذه الحياة المليئة بالإيمان إلا ويحياها أو يهلك دونها، فتصبح حياته روحية صافية.

إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش هذا الشعور بكله، ووصىٰ به بنيه من بعدة لئلا يحرموا لذائذه المنبعثة من العقيدة الصحيحة، فلذائذه

تفوق لذائذ الهوىٰ والشهوة «وليس في الأحياء أشقىٰ من هذا الإنسان الذي يعيش لمطالب نفسه وجسده دون أن يجد في نفسه القدرة علىٰ الاستعلاء عليها والتحكم فيها؛ إنه حينئذٍ يفقد وجوده، ويتحول إلىٰ أداة مسخَّرة، ومطية ذلول لشهوات جسده وأهوائه، تلك الشهوات والأهواء التي لا تسعف الحياة بإشباعها أبدًا، إن الحياة الإنسانية في هذا التصور تبدو كئيبة تطل بوجه بغيض كالح يتهدد الناس بالشر، وينذرهم بالبلاء»[1]، ومن هنا كان لتدبر تجرد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لله أثر في تكوين شخصية المسلم الذي يريد بناء نفسه بناءً لا تنازعه فيه نفسه، وهو الامتداد الذي سار عليه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ويعقوب من بعده في تكوين أبنائه من خلال وصيته، قال تعالىٰ:

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة ١٣٠-١٣٣].

وهذا الذوق الروحي للإيمان هو الذي جعل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا يأبه بحِجَاج قومه في الله حين «خاصموه في التوحيد، فقال لهم:

---

(١) الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربي، د.ت) ص٦.

﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في وحدانيته، أو في الإيمان به، وقد هداني إلىٰ توحيده وأرشدني إلىٰ معرفته، فلا ألتفت إلىٰ غيره، ولا أعبأ بمن خاصمني فيه»[1]، وكيف يعبأ بهم وقد ذاقت روحه حلاوة الإيمان وتشربت من منابعه الصافية؟ إن هذا لشيء عجاب حين يُنتظر من إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تسليمًا للشرك! ما سمعنا به في عالم النبوة وقصص الأنبياء!

وما إن تتكون في شخصية المسلم هذه الدرجة العالية من الرسوخ الروحي الإيماني إلا ويتجرد «عقله عن جميع الإدراكات، وتتعطل حواسه عن أحكامها، ثم تنسلخ نفسه عن الهيكل الجسماني ومطالبته الشهوانية الملحَّة، وبعد ذلك يتوجه بقلبه ويزداد معرفة بربه تعالىٰ فيتجرد بعدها من المواد الجسمانية ولواحقها، ولا يبقىٰ فيه إلا الانجلاء الروحي غير المقيد بشيء من الأجسام وعوارضها، ولا يرىٰ حقيقة قلبه في تلك الحالة إلا نورًا بسيطًا محتويًا بجميع ما كان وما يكون، منتسبة إلىٰ بارئها لأن جهل النفوس بذواتها وبارئها إنما نشأ من الشواغل البدنية»[2].

---

(١) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (ط. دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢ م) ٢/ ٣٨٢.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، ص٤٣٢، مرجع سابق.

وعليه فالجانب الروحي في الإنسان هو الذي يأخذ بيده ليمسح عن جبينه آثار المادة، ولينفض عن كاهله أثقالها وأحمالها، ويمزق قيودها ويحطم أغلالها التي تسوقه إلىٰ التدني والانحلال والشرك بكل أشكاله

ضبط الروح على نسق الفطرة النقية بتوحيد قصدها وتعلُّقها بربها:

يتجلىٰ ضبط روح المسلم علىٰ منوال فطرته السليمة بثباتها علىٰ الإيمان وصيانتها من الانحراف من خلال المعرفة بالله تعالىٰ وتوحيده، وفي حكاية القرآن عن حوار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أبيه وقومه حين تبرأ من شركهم؛ ملمح روحي عميق يبني في شخصية المسلم شعورًا فطريًّا بالتوحيد يتناغم مع عقيدته علىٰ نسق قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وفي تدبر تبرُّؤ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الشرك في الآية عروج بشخصيتنا إلىٰ الأفق الأعلىٰ لعقيدتنا الإسلامية والتمسك بتوحيد الله تعالىٰ الذي هو الوجه الأكمل لآدابنا، والشعلة المتوهجة في قلوبنا،

والمعراج الذي نصعد به إلىٰ سيادتنا علىٰ تلك المادة المسعورة التي تريد أن تجعل من نفسها غاية للوجود ونهاية للآمال وسبيلًا إلىٰ الشرك بمدافعة الفطر نحو الأهواء حتىٰ عبدتها، وقد قال الله في ذلك:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾. [الجاثية:٢٣].

وإمكان ضبط روحيتنا علىٰ فطرة التوحيد والثبات عليه يستقىٰ من معنىٰ قوله تعالىٰ:

«﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي وجعل إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه أي في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالىٰ ويدعو إلىٰ توحيده»[1].

وهو تعبير قرآني يستهدف المعنىٰ الحقيقي في الإنسان والغاية المثلىٰ التي تبرزه علىٰ غيره من المخلوقات بالتكليف، علىٰ أساس ارتباطه بخالقه توحيدًا وتنزيهًا وإجلالًا؛ وذلك جوهر الإسلام وأفقه

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ)، ٤/ ١٥٧.

الأعلىٰ، ومنبع أخلاق دعوة الأنبياء والمرسلين، وروح الكتاب المبين، وفطرة التوحيد في المسلم هي الصانعة للعزائم والهمم نحو الإيمان بالله تعالىٰ، وهس الدرع الحصين الذي يصون عقائدنا، ويحول بيننا وبين أهوائنا وشهواتنا؛ إذ بها تغرس في قلوبنا المثل العليا التي تُعَدُّ معراجًا ربانيًّا، ومنهجًا إنسانيًّا يصنع الإنسان الكامل، ويصوغ المؤمن القوي الزاهد التقي، وإذا تحققت مطالب الفطرة السليمة في شخصية المسلم علىٰ النسق الإبراهيمي في القرآن؛ تحرر من كل عبودية إلا من عبوديته لفاطر السماوات والأرض.

وهذا ما أمر الله به في القرآن حين قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم: ٣٠]، وهذه الآية لها صلة مباشرة بإبراهيم في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران: ٢٠]؛ «فالمعنىٰ: فأقم وجهك للدين والمؤمنون معك، وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يمينًا ولا شمالًا. وهو تمثيل لحالة الإقبال علىٰ الشيء والتمحض للشغل به بحال قصر النظر إلىٰ صوب قبالته غير ملتفت يمنة ولا يسرة، وهذا كقوله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[الأنعام: ٧٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾[آل عمران: ٢٠]؛ أي أعطيته لله، وذلك معنىٰ التمحيص لعبادة الله وأن لا يلتفت إلىٰ معبود غيره،

والدِّينِ هو دين الإسلام، وحَنِيفًا خلوه من شوائب الشرك، كما كان في وصف إبراهيم عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢٠] وحنيف: صيغة مبالغة في الاتصاف بالحنف وهو الميل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل؛ أي العدول عنه بالتوجه إلىٰ الحق، أي عادلًا ومنقطعًا عن الشرك كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]، و(فِطْرَتَ اللَّهِ) أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة»[(١)].

وبمتابعة هذه الآيات وصلتها ببعضها يصل المسلم لقاعدة تنطلق منها عقيدته علىٰ أساس الفطرة النقية بعيدًا عن الشرك واتباع الهوىٰ.

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٢١/ ٤٧.

المبحث الثاني



أثر تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ربط الميل القلبي بالله تعالى



إن في قصص إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رسالة لصاحب القلب الحائر وإلىٰ من يشتكي من القلق والحيرة وإلىٰ الباحث عن الأمان والطمأنينة، وحقيق بهذا القلب وحريٌّ به أن يطمئن بشارات وعبارات هذا القصص، فله قوة حاكمة في محركات القلوب التي هي مدار تحريك الشخصية نحو ربها، وقبل بيان ذلك نعرِّف بالقلب، وذلك في الآتي:

مفهوم القلب:

القلب هو: «لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان»[(١)]، والخطاب القرآني في ذكره للقلب لم يُرد ذلك الجزء العضوي المودع في الجانب الأيسر، ولكنه يرمي إلىٰ أحواله، ويطلَق القلْب في القرآن «اسمًا لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه، وتؤمن وتكفر، وتتقي وتزيغ وتطمئن، وتلين وتقسو وتخشىٰ وتخاف، وقد نُسبَت إليه كل هذه المعاني في القرآن، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٠٥هـ)، ص٢٢٩.

الحسية، وقد أطلق علىٰ الشيء الذي يحيا به الإنسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء، عدة أسماء منها القلب، فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنىٰ النفس المدركة والروح العاقلة؛ لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها»[1]، وهذا ما ترنو إليه بغيتنا من معنىٰ القلب.

قيمة القلب في بناء عقيدة المسلم وتكوين شخصيته:

إن القلب هو مركز بناء شخصية المسلم الذي عليه مدار معرفة حقيقته في الوجود الكوني وغاية وجوده، ويحدد من خلاله منهج حياته، فهو مستقر ومستودع هذا المنهج، وقد «ذكر الله تعالىٰ القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها»[2]، كلها تتصل بالتدبر والاعتبار والخشوع والفقه، فللتدبر منفذ للقلب السليم؛ يصل إليه ويرقىٰ به، والقلب هو المعول عليه للتدبر، فإذا أغلق عليه حجب عن التدبر، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: ٢٤] والأقفال علىٰ القلوب من أعظم موانع

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش، (ط. دار ابن كثير، دمشق بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥هـ)، ٧/ ٥٩٨.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط. دار الفكر، بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م)، ص٥٤٩- ٥٥١.

التدبر؛ فمن قرأ القرآن ولم يجد في قلبه إقبالًا علىٰ الطاعة، فلْيعلم أن علىٰ قلبه أقفالًا ورانًا، وليتفقد نفسه، وليراجع واقعه، وليتفكر ما هي الأقفال التي حالت بينه وبين تدبُّر القرآن والعمل بما فيه.

بخلاف القلوب السليمة فهي تنفتح علىٰ نور الذكر وتأوي إليه وتطمئن به وتزداد به إيمانًا، ولها هيمنة علىٰ كل عناصر الكينونة الإنسانية، تلبي كل حاجاتها علىٰ مفهومها الإنساني، وتتعامل مع كل مقوماتها علىٰ دعائمها المنضبطة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، فالحاكمية علىٰ سائر الجوارح مبدؤها القلب، وكينونة الشخصية وتراكيبها محكومة به؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» [١]، إذن فالقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، ، قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [٢].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت)، ٤/ ١٩٨٧.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، ٣/ ١٣١٩.

والحديث «فيه إشارةٌ إلىٰ أن صلاح حركات العبد بجوارحه، بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة اللَّه ومحبة ما يحبه اللَّه وخشية اللَّه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرَّمات كلها، وتوقي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسدًا، قد استولىٰ عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلىٰ كلّ المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوىٰ القلب»[1].

وبتدبر مخاطبات إبراهيم عليه السلام في القرآن يجد القارئ رسائل مباشرة تكوِّن القلب وتزيد في إيمانه ويقينه في توحيد الله تعالىٰ، فهذا الجوهر أو الكيان الإنساني هو الجامع لكل الأوصاف والخصائص، والمميزات والصفات والقدرات المعنوية التي تحكم وجهة الإنسان، والآيات التي تدل علىٰ ذلك كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله أيضًا: ﴿الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله ألا بذكرِ الله تطمئنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، فالمطمئن حقيقة ليس هو عضو القلب، وإنما الحال فيه أو المتعلق به، وقال تعالىٰ:﴿ إِنَّمَا

---

(١) جامع العلوم والحكم، الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة خامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ١/ ٢١٠.

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]، وفي ظلال تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن؛ تنبعث في شخصية المسلم لذة الذوق الإيماني وهي علىٰ غرار ما رواه الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[1]، وبهذا الذوق القلبي المستمد مباشرة من القرآن، تتكيف شخصية المسلم تكيفًا فريدًا يمنحها الصلاحية لقيادة البشرية قيادة فريدة، لم تعرف لها البشرية – من قبل ولا من بعد- نظيرًا؛ سواء في عالم الإنسانية والشعور، أو في عالم الواقع والحضارة، وقصص القرآن علىٰ النسق الإبراهيمي وغيره بما فيه من تكوين عقدي دقيق هو المرجع الأول لتلك الشخصية الفريدة، وهذا ما سنعرض له في الآتي:

أولًا: تكوين السلامة القلبية من واقع حرص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

تتجلىٰ مواقع تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خلال إدراك مدلولاتها وإيحاءاتها، وليس فقط في فهم ألفاظها وعباراتها، ونبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعوِّل علىٰ سلامة القلب للوصول إلىٰ بر الأمان

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِي بِاللهِ رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ١/ ٦٢.

ويمنح استعداد النفس رصيدًا من المشاعر والمدركات والمواجد والتجارب التي توقد مجامر القلوب بالسلامة اقتداءً واقتفاءً، وحين يتدبر المسلم عمق مؤهلات القلب السليم في منطق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشعر كأنه يتلقاه من فيه في خضم المعترك؛ معترك جهاد النفس وجهاد الشهوات وهو يتقلب بين الخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض، وقد حكىٰ القرآن عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعاءه حين قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٣-٩٣] و«أظهر ما قيل في القلب السليم: أنه السالم من الشكوك والأوهام، والخواطر الردية، ومن الأمراض القلبية»[١].

وقوله تعالىٰ (بقلب سليم) «فيه خمسة أوجه:

أحدها: سليم من الشك.

الثاني: سليم من الشرك.

الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح.

---

(١) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ٥/ ٢٦٥.

الرابع: أنه الخالص.

الخامس: أنه الناصح في خلقه.

ويحتمل سادسًا: سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرىٰ عند المعاينة»[1].

وفي الآيات يشير إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ أن آلة التحكم في جسد الإنسان وركيزة الأمان فيه تكمن في سلامة قلبه، فهو آلة تحريك الهمم والطاقات والقوىٰ المستوطنة داخل الفرد نحو تطبيقات العقيدة علىٰ واقع حياته، قوىٰ تؤثر في واقع الضمير والوجدان وتنعكس علىٰ قدرة الإنسان في التعبير عن مواهبه وإبداعاته العقلية والعملية؛ فعندما يكون ذلك الإنسان علىٰ درجة من الإيمان بمبادئ الخير والصلاح يكون علىٰ استعداد للتعبير عن ذلك الإيمان بمختلف الطرق والوسائل بما في ذلك التضحية والاستشهاد من أجلها، وإذا لم يرض الفرد مطالب ضميره، عاش عذاب تأنيب الضمير.

«وبطبيعة الحال تبدو علىٰ الشخص السوي صاحب الضمير اليقظ فاعلية عمله وإتقانه فيه، وحسن الأداء، والشعور بالمسؤولية الأدبية نحو نفسه وأسرته ومجتمعه، وهو يرىٰ في أدائه لعمله بمهارة

---

(١) تفسير الماوردي... النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (ط. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ت)، ٤/ ١٧٦.

وإتقان تعبيرًا صادقًا عن طموحه في التقدم والرقي والكمال النفسي، وعن رغبته الصادقة في القيام بدور فعال في خدمة المجتمع والإسهام بإخلاص في نموه وتقدمه»[1].

ولا ينبغي لصاحب طلبة السلامة القلبية أن يكتفي بمجرد التماس حقائق مضامين مقال إبراهيم لمجرد معرفة ثقافية؛ بل يجب عليه أن يستجيش قلبه بالذوق الإيماني لتحقيق غاية وجوده الإنساني، كما يرسمها التوجيه الرباني، فهو السبيل الوحيد لرجوع القلوب لربها، وإذا رجعت سلمت وانصلحت، وبدت عزائمها، وعبَّرت الأعضاء عن مرادها وبغيتها، فـ: «القلب هو الأصل الجامع للأعضاء، وهو كالملك وجميعُ الأعضاء تبع له، وإذا رأيت عضوًا فاسدًا فاعلم أن سبب فساده خلل في القلب فينبغي إصلاحه، ولهذا المعنىٰ كان صلاح القلب أشدَّ أنواع الجهاد، ويؤيد هذا القولَ قولُ النبي ﷺ: «أَلَا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[2]، ولِمَ لا، و«عماد ملة

---

(١) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط. دار الشروق، طبعة أولىٰ، سنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ص٢٩٨، مرجع سابق.

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه، أَلَا وإن لك ملك حمىٰ،=

إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو المتفرع عن قوله: ﴿ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾ وذلك جماع مكارم الأخلاق»[1]؟

وقد استجاب الله لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ ﴾[الصافات: ٨٣-٨٤].

والآيات «تخلص إلىٰ حكاية موقف إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من قومه في دعوتهم إلىٰ التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيَّده الله ونجاه، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيدَ الثناء علىٰ نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وابتداء الثناء علىٰ إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وتخليدَ منقبة لنوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به، وكذلك جمع محامد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في كلمة كونه من شيعة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ المقتضي مشاركته له في صفاته، وكان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من ذرية نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكان دينه

=ألا وإن حمىٰ الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبىٰ الفرج ابن رجب الحنبلي، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، (ط. مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ١/ ٢٢٤.

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٢٣/ ٥٢.

موافقًا لدين نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أصله وهو نبذ الشرك»[1].

فقد قامت دعوة كلا النبيين إلىٰ التوحيد؛ فدعوة نوح تجلَّت في وسط وثني صنمي، وكانت ملامح دعوة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع دعوة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث الجو المشحون بالأساطير الوثنية نفسه، فانطلقت دعوتهما لتكسر أوثان الشرك، وتدعو إلىٰ الطهر ونبذ الخرافة علىٰ أساس (التوحيد) المطلق العميق التجريد.

وهذه هي الحقيقة المسلَّمة الباقية، التي تجعل لتصور الواقع العقدي السليم بقيمته الفريدة في بناء سلامة القلب علىٰ نزاهة الإيمان، ونقض خرافة الشرك بمعاول التوحيد أساسًا رصينًا في بناء بنيان العقل.

ثانيًا: تكوين اليقين القلبي في الله تعالىٰ من خلال تيقن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

يستدعي قصص إبراهيم أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة، وأن نستحضر اليقين في شخصيتنا استحضارًا طبيعيًّا لا تكلُّف فيه ولا عناء، فالجو الملبَّد بغيوم سطوة الباطل الذي زاحم دعوة إبراهيم، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية التي كان القوم يتخبطون فيها وقت أن جاءهم الهدىٰ، ثم التيه الذي أسهبوا فيه بعد تمسُّكهم

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٢٣/ ٥١.

بانحرافهم وعدائهم للحق، كل ذلك يدعونا إلىٰ التدبر، لا سيما في وقت تحتاج فيه القلوب لذلك بشغف في ظل تحديات التشكيك التي تهوي بشخصية المسلم من منفذ عقيدته في مكان سحيق إن لم يحصِّن نفسه، وتدفعه إلىٰ حافة الهاوية، وتُلقي به في موضع التهديد بالإفلاس المعلَّق علىٰ رأسه، وأي إفلاس؟ إنه إفلاس في عالم الإيمان يعطل نمو الشخصية المسلمة نموًّا سليمًا ويمنعها من أن ترتقىٰ ترقيًّا صحيحًا يمكن للفرد أن يقنع ضميره من خلاله باستحقاقه للوجود، ومن محصلات تدبُّر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. اليقين في البعث: يأتي دور تدبر آيات حوار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه في أمر البعث في أشد الساعات حرجًا في القلب وأشدها حيرة واضطرابًا، بل في مفرق الطريق بين الشك واليقين، ليقنعه بتجربة تكون لديه تصورًا ينبثق من حناياه، ويتفاعل مع مشاعره ليصل به إلىٰ اليقين في البعث فيحط رحاله عنده، وهذا اليقين هو الوشيجة الحية بين الإنسان ووجوده وآخرته أو بين الإنسان وخالق الوجود، وقد ضمَّن الله هذه الحقائق في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠].

إن الآيات تشير إلىٰ قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي جاش باليقين والإيمان، حين راح يناجي ربه وينفث زفرات قلبه ليعاين حقيقة يؤمن بها فتحقق مراده فأرضاه ربه، وكانت المعاينة التي سرىٰ بها نور اليقين في الوجود خالدًا خلود القرآن، ويحكي القرآن ذلك عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال طلبته: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾، «ويلاحَظ تأدب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع مولاه تأدبًا يليق به، حيث بدأ سؤاله بـ (ربِّ) الذي يشعر بالعناية والتربية لخلقه، قال تعالىٰ له –وهو أعلم به–: ألم يوحَ إليك أولم تؤمن بذلك؟ قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مجيبًا: يا رب قد أوحيت إليَّ وآمنت بذلك، ولكن تاقت نفسي وتطلعت لأن تقف علىٰ كيفية الإحياء للموتىٰ ليطمئن قلبي بمشاهدة العيان مع الوثوق والإيمان، ولا غرابة في ذلك فكلنا يؤمن بالأثير وعمله في نقل الأخبار والصور، وكثير منا لا يعرف كيفية ذلك وتتوق نفسه للمعرفة، وفي ردِّ اللّه عليه بقوله: (أو لم تؤمن؟) إشارة إلىٰ أن الإنسان لا يكلَّف بأكثر من الإيمان بأخبار الغيب الصادرة عن المولىٰ، جل شأنه، في ذاته وصفاته ويوم القيامة وغيره، قال تعالىٰ: فخذ –يا إبراهيم– أربعة من الطير وقطعهن قطعًا ثم اجعل عل كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك ساعيات كما كانت، وهكذا يحيىٰ اللّه الموتىٰ، واعلم أن اللّه عزيز حكيم»[1].

---

(١) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت)، ١/ ١٧٥.

وقد اختلف العلماء في سبب سؤال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَى ﴾ وهو علىٰ قولين:

«أحدهما: أنه رأىٰ جيفة تمزقها السباع فقال ذلك، وهذا قول الحسن، وقتادة، والضحاك.

والثاني: لمنازعة النمرود له في الإحياء، قاله ابن إسحاق، ولأي الأمرين كان، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن علم الاستدلال»(١).

وأما سؤال الله لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن؟ ﴾ وجواب إبراهيم بقوله: ﴿ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ «ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ليزداد يقينًا إلىٰ يقينه، هكذا قال الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير، والربيع، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز علىٰ نبي.

والثاني: أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتي، واتخذتني خليلًا كما وعدتني، وهذا قول ابن السائب.

---

(١) تفسير الماوردي... النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - د. ت)، ١/ ٣٣٣.

والثالث: أنه لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين»[1].

وأيًّا كان الأمر... فالمهم أن الحسم القرآني جاء لينشئ تصورات يقينية صحيحة في أمر البعث وإمكانه عقلًا، بعيدًا عن تصورات البشر المجردة القاحلة، وهذه الرعاية من الله لإبراهيم والاستجابة لطلبته ليست موقوته، بل هي رعاية للبشرية كلها، رعاية تنتشلها من الحيرة والشك، رعاية تفرغ القلوب والعقول من كل غبش مزعج دخيل، ليقوم تصورها نقيًّا صافيًا نظيفًا من رواسب الجاهليات علىٰ طول امتدادها في عقد التاريخ وتجدد أيامه وسنينه، تصورًا يقينيًّا حقيقًا بالحقائق الغيبية، مستمَدًا من وحي الله وحده، لا من اجتهاد وظنون البشر ونتاج عقولهم الذي لا يغني من الحق شيئًا.

٢. اليقين في دفاع الله عن المؤمنين ونصر الله لهم: ما أحوج الشخصية المسلمة عند ملاقاة المحن والأزمات إلىٰ اليقين في نصر الله ونصفتة الحق، بعيدًا عن الانفعالات التي هي «أظهر الحالات النفسية التي يتجلىٰ فيها الوجدان، كالخوف والفرح، والحزن والقلق، والأسف والندم، والحقد والحسد، والأمل والضجر»[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٤.

(٢) الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفي، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوي، ص١٢١، طبعة دار الفضيلة، بدون تاريخ.

وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعقيدته الصحيحة وبوارداتها اليقينية كان مثالًا في ضبط الانفعالات حين واجه أمواج الاضطهاد العاتية من قبل عبَّاد الوثن حين واجههم بالحقيقة وكشف زيغهم وضلالهم ببيان خصائص الألوهية، وإبطال اشتراك ما عدا الله ومن عداه في العبودية، وتجريدهم من خصائص الألوهية، ومقتضىٰ هذا معناه أنه لم يتوجه بالخضوع والتوكل إلا علىٰ الله، توحيدًا لسلطانه الذي هو أخص خصائص الألوهية، والذي لا ينازع الله فيه مؤمن، ولا يجترئ عليه إلا كافر، ومن هنا تمسك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتوحيد ربه، ولم يبالِ بتهديد قومه، وصابر في مواجهة تنكيلهم به، لأنه علىٰ يقين في أن الله سيدافع عنه دفاعه الذي وعد به المؤمنين.

قَالَ تعالىٰ في حكاية ذلك علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين صدح بتهكم إبراهيم وتنكيله بأهل الشرك: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: ٦٧]، فَلَمَّا أَفْحَمَهُمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ لَجَؤوا إِلَىٰ الْقُوَّةِ، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ٦٨] «وتلك عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أُفحموا بالحجة القاطعة لجؤوا إلىٰ استعمال القوة، ولكن الله أنجىٰ إبراهيم من النار، وكذا ينجي من يدافع عنه، وقوله ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معناه: قبحًا لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله

الخالق الرازق الضار النافع، وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: قبح عبادتها وباطل تأليهها وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر»[(١)].

وفي قَوْلِهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء: ٦٨]، «ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَفْحَمَ قَوْمَهُ الْكَفَرَةَ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ لَجَؤوا إِلَىٰ اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ، فَقَالُوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ أَيْ: بِقَتْلِكُمْ عَدُوَّهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرَّ قِتْلَةٍ، وَهِيَ الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا قَتْلَهُ بِغَيْرِ التَّحْرِيقِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَىٰ ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾[العنكبوت: ٢٤] وَقَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِأَنَّ الْمُبْطِلَ إِذَا أُفْحِمَ بِالدَّلِيلِ لَجَأَ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ لِيَسْتَعْمِلَهَا ضِدَّ الْحَقِّ»[(٢)].

ورغم ما عاناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من أعتىٰ صور التنكيل إلا أنه صمد وثبت لأنه علىٰ الحق، وذلك يرسم في شخصية المسلم تكوينًا فريدًا من الثبات عند المحن وثوقًا في نصر الله تعالىٰ، وهذا ما دفع

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، طبعة خامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٣/ ٤٢٤.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ مـ)، ٤/ ١٦٢.

إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ عدم الخنوع لأمر أهل الكفر «حيث أصرَّ علىٰ موقف الهدىٰ الذي هداه الله إليه، وعلىٰ عبادة الله الواحد الذي هداه إلىٰ حقيقة الإيمان، عند لجوئهم إلىٰ تخويفه بانتقام الآلهة من تجديفه في حقِّها وكفره بها، وتوعُّدِهم بأن هذه الآلهة المزعومة ستناله بالأذىٰ لا محالة، وحينها ردَّ عليهم في اطمئنان الواثق:

﴿وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُون﴾، ولكنه من أدبه مع ربه لم يقطع بأمر هو بعد في طيات الغيب، فقد يكون الله سبحانه وتعالىٰ قد قدَّر له أن يصيبه شيء من الأذىٰ فيقول: ﴿وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ثم يعود إليهم فيجابههم بحقيقة موقفهم: كيف تخوِّفونني بتلك الآلهة المزعومة التي تشركون بها، وهي عديمة السلطان لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، ولا تخافون أنتم من الله الحق الذي يملك الضر والنفع، وأنتم تشركون به وتعصون أمره؟ فأيُّنا أحق بالأمن؟ الذي يلجأ إلىٰ الإله الحق ويدخل في حِماه، أم الذي يحتمي بغير حمىٰ سوىٰ الأوهام؟»[1].

وجاء نصر الله له ليثبت دفاعه عن أنصاره ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩]، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين، «وقد

---

(١) رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)، ص٢٧٧.

أظهر الله معجزة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ وجَّه إلىٰ النار تعلق الإرادة بسلب قوة الإحـراق، وأن تكون بـردًا وسلامًا إن كان الكلام علىٰ الحقيقة، أو أزال عن مزاج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التأثر بحرارة النار إن كان الكلام علىٰ التشبيه البليغ، أي كوني كبرد في عدم تحريق الملقىٰ فيك، وأما كونها سلامًا فهو حقيقة لا محالة، وذكر ﴿ وَسَلامًا ﴾ بعد ذكر البرد كالاحتراس لأن البرد مؤذٍ بدوامه ربما إذا اشتد، فعقَّب ذكره بذكر السلام لذلك، وعن ابن عباس: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها، وإنما ذكر ﴿ بَرْدًا ﴾ ثم أتبع بـ ﴿ وَسَلامًا ﴾ ولم يقتصر علىٰ ﴿ بَرْدًا ﴾ لإظهار عجيب صنع القدرة إذ صير النار بـردًا، و﴿ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ يتنازعه ﴿ بَرْدًا وَسَلامًا ﴾، وهو أشد مبالغة في حصول نفعهما له»[1].

ويأتي بناء اليقين في شخصية المسلم من هذه الخلال التي دلَّت علىٰ تحقيق ما وعد الله به من دفاعه عن أوليائه، وذلك في قوله: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٠]، «وتسمية عزمهم علىٰ إحراقه كيدًا؛ يقتضي أنهم دبَّروا ذلك خفية منه، ولعل قصدهم من ذلك أن لا يفر من البلد فلا يتم الانتصار لآلهتهم، والأخسر: مبالغة في الخاسر، وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة،

---

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ١٧/ ٧٧.

وكأن خسارتهم لا تدانيها خسارة، وكأنهم انفردوا بوصف الأخسرين فلا يصدق هذا الوصف علىٰ غيرهم، والمراد بالخسارة: الخيبة، وسميت خيبتهم خسارة علىٰ طريقة الاستعارة تشبيهًا لخيبة قصدهم إحراقه بخيبة التاجر في تجارته، كما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، أي فخابوا خيبة عظيمة، وذلك أن خيبتهم في سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدُّوه للعقاب معجزة وتأييدًا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذابًا كما دل عليه قوله تعالىٰ: في سورة الحج ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[الحج: ٤٤] وقد عدَّ فيهم قوم إبراهيم»[١].

إذن إبراهيم كان في عناية ربه، والله يُدخِل في عنايته من آمن به، فهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[الحج: ٣٨] وما حدث مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تجربة واقعية عملية تزيل وهْم الواهمين في عدم نفاذ دفاع الله عن عباده الصادقين، وجاء التعبير بقوله ﴿يُدَافِعُ﴾ بصيغة المفاعلة، للمبالغة في الدفاع والدفع؛ فالله تعالىٰ بفضله وكرمه يدافع عن المؤمنين أعداءهم وخصومَه، فيردُّ كيدَهم في نحورهم، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله

---

(١) المصدر السابق، ١٧/ ٧٨.

تعالىٰ ناصرهم»[1].

ويبدو تقويم شخصية المسلم في موقف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحالم وردَّة فعله الهادئة الحانية، فعلىٰ الرغم من تهديدهم إيَّاه بالقتل والإحراق إلا أنه صمد علىٰ الحمق ولم ينفعل أو يغضب، وذلك يلفت ناظر المسلم ليكوِّن شخصيته علىٰ عدم امتلاك الانفعالات له وامتلاكه لها وتحكُّمه فيها، وعدم تحكُّمِها فيه، وذلك يسوق يقينًا إلىٰ الأمن النفسي طالما سلَّم ورضي بقسم الله، وإذا تحقق ذلك «يستشعر الفرد سرورَ القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيبَ النفس وسكونَها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وقناعة العبد بكل شيء، واغتباطه بقسمة ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلام العبد للمولىٰ في كل شيء ورضاه بأدنىٰ شيء، وتسليمه له الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها»[2]، وكل ذلك حاصل في واقع ما آل إليه من كيد الكافرين لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونجاته بإذن ربه، وهو يعكس في شخصية المسلم إن اقتفىٰ أثره تكامل الشخصية، ويصحب ذلك علامات تكوينية تبدو في ملامح شخصيته، منها:

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط. دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت)، ١٧/ ١٦١.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٨١هـ- ١٩٦٧م)، ٢/ ٧٩ ٨٠.

«١. النضج الانفعالي، ويقصد به: اعتماد الفرد علىٰ نفسه، وثقته بها، مما يجعله واقعيًّا في مواجهة مشاكل الحياة.

٢. قدرة الفرد علىٰ الثبات والصمود حيال الأزمات والشدائد، وذلك يعني تحكُّم الفرد في انفعالاته واتـزان نفسيته، وذلك عين التنمية للشخصية.

٣. شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة وراحة البال، وانسياب حياته النفسية، وقلة الشعور بالإحباط.

٤. قـدرة الفرد علىٰ تبني مقاييس من القيم والمُثُل العليا، وترجمتها إلىٰ خطة عملية تعينه علىٰ مواجهة مشكلاته»[1] تلك مواد البناء هي أبرز الثمار التي يحصلها المسلم في شخصيته من خلال تدبُّر واقتفاء صمود إبراهيم وثباته علىٰ الحق.

ثالثًا: موقف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع الذبيح إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأثره في تكوين التسليم القلبي لله تعالىٰ:

لا بد من مؤهل لقيادة القلب عند ابتلائه، ولن يكون هذا المؤهل سوىٰ (العقيدة) التي تسمح له بأن يحتفظ بدعائمه تحت إشراف تسليم وجهته لله وحدَه، ولا أدل علىٰ ذلك من اختبار الله لإبراهيم

(١) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (طبعة أولىٰ، دار الشروق، سنة ١٤٠٩هـ)، ص٢٧٣.

وولده الوحيد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإلينا البيان في حكاية القرآن، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨﴾[الصافات: ١٠٠-١٠٨] وهو قمة التلطف في البلاغ لولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة.

والأمر مقضي في نظر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنه وحي من ربه، وفي قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لولده ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ «ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قاله إخبارًا بما أمره الله تعالىٰ به ليكون أطوع له.

الثاني: أنه قاله امتحانًا لصبره علىٰ أمر الله تعالىٰ.

الثالث: أي ماذا تريني من صبرك أو جزعك، قال يا أبت افْعَلْ ما تؤمرُ، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين، فلما أسْلَمَا أي: سلما لله تعالىٰ الأمر، قال قتادة: سلم إسماعيل نفسه لله، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالىٰ، وقوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه صرعه علىٰ جبينه، قاله ابن عباس، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها.

الثاني: أنه أكبَّه لوجهه.

الثالث: أنه وضع جبينه علىٰ تل، وحكىٰ مجاهد عن إسحاق أنه قال: يا أبت اذبحني وأنا ساجد، ولا تنظر إلىٰ وجهي فعسىٰ أن ترحمني فلا تذبحني، ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ أي عملت ما رأيته في المنام»[1].

أي ابتلاء هذا؟ إنه ابتلاء لأب في ولده ووحيده الذي رُزِقه علىٰ الكبر، ابتلاء جدير بقول الله ﷻ عنه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ «يعني الاختبار البيِّن، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ يعني بكبش عظيم والذِّبح بكسر الذال اسم لما يذبح وبالنَّصب مصدر»[2].

وتلك نتيجة حتمية لصدق التسليم المطلق لله تعالىٰ، فالتسليم لله من أصول الاعتقاد، فهو «الجذر الأول في بناء شخصية المسلم، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجِّه لإرادته، ومتىٰ صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرىٰ لديه، وكان أطوع للاستقامة علىٰ طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر علىٰ التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم

---

(١) تفسير الماوردي... النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ٥/ ٦٠.

(٢) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر بيروت)، ٢/ ١٤١.

والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة، العاجل من كل ذلك والآجل، وهذا ما يطلبه منا الإسلام، وقد أدرك حديثًا الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان، فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان: (أيديولوجيات) ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلىٰ المستوىٰ الذي وصل إليه الإسلام؛ إذ هو يبني في الفرد المسلم إيمانًا لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم»[1].

إن مشهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ولده الوحيد يربي في شخصيتنا أسمىٰ درجات التسليم القلبي لله ولأوامره، وبإسقاط تسليم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمر ربه وتتابع قصته؛ يرسخ في القلب تجريد مطلق عن كل شيء سوىٰ الله تعالىٰ وطاعته، وهو ما يأخذ بالشخصية إلىٰ المثالية والكفاءة العليا والنجاة والقوة والنصر.

ثمرة تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في تهيئة اتصال القلب بالله:

يتكون في شخصية المسلم من خلال الاعتبار بمدار ما جاء في قصص إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من مؤثرات في حركة القلب وسكونه

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم دمشق، طبعة ثانية، ١٩٧٩م، ص٣٤.

وتقلُّبه بين منازل الاتصال بالله تعالىٰ عدةُ محركات قلبية قال عنها الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن محركات القلوب إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء. وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]، والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقىٰ العبد في السير إلىٰ محبوبه، وعلىٰ قدر ضعفها وقوَّتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب علىٰ كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدًا لله لا لغيره»[١].

هذا غيض من فيض مما ينسج قلب المؤمن علىٰ وشائج الإيمان من خلال تذاكر مواقف إبراهيم وأحواله التي مرَّ بها بين القبض حينًا والبسط أحيانًا كثيرة.

(١) مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ١/ ٩٥.



المبحث الثالث

أثر تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى



إن في قصص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عبرةً للعقل، ومن اعتباره تنضبط كينونة الشخصية المسلمة بكل جوانبها وتوجهاتها، وبكل أشواقها ورغباتها، وبكل حاجاتها ومطالبها، ، فاعتبار العقل يردها إلىٰ جهة واحدة تتعامل معها، جهة واحدة تأوي إليها في كل شيء، جهة واحدة ترجوها وتخنع إليها وتخضع لها وتخشاها، وتتقي غضبها وتبغي رحمتها وترجو رضاها، جهة واحدة تملك لها كل شيء، جهة نزيهة مفادها التوحيد والتنزيه والجلال والجمال، وجهة الله العلي الكبير، وفي قصص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيض من الجُمَل والعبارات التي توجه العقل نحو تنزيه الله تعالىٰ، والتي من خلالها يستلهم الباحثون والمفكرون والعلماء حجم المكانة التي نالها العقل من بين سائر أعضاء الإنسان ونظرة القرآن الشاملة من خلال هذا القصص لعمل العقل وحثه علىٰ النظر والتأمل والفكر والتفكر وإطلاق العنان له في ربوع المعرفة والعلم وَفْقَ ضوابط ومحددات ذكرها القرآن في ثنايا ما جاء في واردات إبراهيم وحواراته مع قومه، وأوضحها بالحجة في المسائل والدلائل التشريعية الضخمة التي لا ينكرها عاقل وقبل الخوض في غمار مدارات ضبط توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالىٰ، يجدر بنا أن نعرِّف بالعقل كتقدمة ينسجم من خلالها السياق:

تطواف حول مفهوم العقل في القرآن:

بالنظر إلىٰ المعاني اللغوية المستمَدة من القرآن الكريم نجد أن مادة (عقل) وردت تحمل العديد من المعاني، منها: الـ «(عقل) هو الحابس عن ذميم القول والفعل»[1]، و «العقل: نقيض الجهل: يقال عقل يعقل عقلًا، إذا عرف ما كان يجهله قبلُ، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعُه عقول، ورجل عاقل وقوم عقلاء، وعاقلون ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل»[2]، و«العقل: الحجر والنهي وهو ضد الحمق والجمع عقول»[3].

وقد وردت مادة عقل في القرآن الكريم «٤٩ مرة معظمها بصيغة المضارع ففعل (تعقلون) تكرر ٢٤مرة وفعل (يعقلون) تكرر ٢٢مرة وفعل (عقل) و(نعقل) و(يعقل) جاء كل واحدٍ منها مرة واحدة ولم يرد لفظ العقل معرفًا»[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس أبو الحسين أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)، ٤/ ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٦٩.

(٣) لسان العرب ابن منظور محمد بن مكرم (بيروت، دار صادر الطبعة الأولىٰ)، ١١/ ٤٥٨.

(٤) العقل والعلم في القرآن الكريم القرضاوي يوسف (بيروت، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص١٣ بتصرف يسير.

فمن المعنىٰ الثالث (الحجر والنهي) قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة:٤٤]، ومن المعنىٰ الثاني (نقيض الجهل) قوله تعالىٰ: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الأنبياء:٦٧]، ومن المعنىٰ الأول (الحبس عن ذميم القول والفعل) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾[يس:٦٨].

وبهذا فإن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحيَ متعددةً مجملها تشير إلىٰ أنه أداة العلم والمعرفة والتمييز بين الأشياء والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار وذميم القول والفعل لأن العاقل يعرف به الضار من النافع والخير من الشر.

وحين أتناول العقل في تدبر قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن، فإنني أقصد بالعقل ذلك الجهاز الذي يتبنىٰ عملية التفكير وصناعة المفاهيم وتحليل المعاني، والتمييز بين سليمها وسقيمها، فلا شك أن «منهج الله هو الأساس في بناء عقل الفرد المسلم السوي بإعداده الإنساني في تعامله، المميز في خصائصه، المؤثر في مجتمعه، القادر علىٰ القيام بمسؤولياته في المجتمع، ومهامِّه في الحياة، الواعي لأهداف أمته، العامل علىٰ تحقيقها في واقع الممارسات اليومية،

القادر علىٰ التفكير السليم، المستقل في شخصيته، المعتز بذاتيته، الملتزم في انتمائه، المتوازن في شخصيته وتصرفاته وتفكيره، وهذا لا يتم إلا إذا غذي بلبان هذا الدين في مدارج نموه، ومعارج ارتقائه، ومراحل عمره»[1].

وفيما يلي نبرز لأهم تطبيقات المنهج القرآني في قصص إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ نموذجًا علىٰ منافذ العقل وتصاريفه:

الحجة في الحوار وحصر العقل في دائرة التسليم:

إن المتدبر في حوار إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ العقدي في القرآن؛ يجد أنه اعتمد علىٰ الحجة والبرهان وإعمال العقل عبر منافذ متعددة؛ كالنظر والتفكر والاستفهام والسؤال والاستنتاج والاستنباط والحوار والنقاش وإثبات الحقائق وإبرازها والتفكر والتدبر فيها والدعوة إلىٰ النظر في الآيات المعنوية والحسية ومدىٰ نفعها للخلق وقدر فائدتها والمحصول منها وتأتي دعوة إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ خالصة ناصعة شاملة متكاملة تواجه الوثنية مواجهة حاسمة كما صورها القرآن الكريم، ووصىٰ بها إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بنيه كما وصىٰ بها يعقوب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بنيه قبل أن يموت:

---

(١) من أهداف الإسلام، عبد الله بن محمد العجلان، بحث بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢)، ص٢٩٤-٢٩٥.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشعراء ٦٩-٨٢].

ومنه قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[مريم:٤١-٤٥].

والمتأمل في قوله تعالىٰ (واذكر) يجد أن الله يصنع شخصية نبيه علىٰ عينه، فقد «أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنْ يَذْكُرَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمُنَزَّلُ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتْلُو عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ نَبَأَهُ مَعَ قَوْمِهِ وَدَعْوَتَهُ لَهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ»[١].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ٢/ ٤٢٣.

وعلىٰ هذا السياق الإقناعي نفسه تكرر هذا المعنىٰ المذكور في هذه الآية في آية أخرىٰ في القرآن الكريم، ونجد صلة قوية تربط بين هذا الأمر الإلهي التكويني للنبي ﷺ وبين آيات سورة الشعراء السابقة؛ «فَقَوْلُهُ هُنَا: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ، هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾، وَزَادَ فِي الشُّعَرَاءِ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ لِأَبِيهِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ قَالَهُ أَيْضًا لِسَائِرِ قَوْمِهِ»[1].

والعبر تترىٰ في قصص إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكلها تخاطب العقل، وتضعه علىٰ مدارج اليقين والإقناع، فالإقناع لا يُفرض فرضًا، ولكن يعرض بالحجة والبرهان، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنعام: ٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الشعراء: ٦٩-٧٧]، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾[الأنبياء: ٥١-٥٥]، وَقَال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾[الزخرف: ٢٦-٢٧]، وقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾[الصافات: ٨٣-٨٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾[الممتحنة: ٤]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وهي تستدعي العقل ليتخلص من عبادة غير الله مما لا ينفع ولا يضر علىٰ نسق قوله تعالىٰ:﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾[الأنبياء: ٦٦-٦٧].

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ محاجة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قومه ورَفَع قدره بالحجة التي منَّ الله عليه بها، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِ﴾[الأنعام: ٨٠]، وأصل المحاجة في الآيات في شيء

واحد؛ هو توحيد الله تعالىٰ، وإقامة الحجة القاطعة علىٰ أنه لا معبود إلا هو وحده جل وعلا، وكانوا من قبلُ قد أُفحموا بالحجة القاطعة في مثل قوله تَعَالَىٰ في حكاية رد الْكُفَّارُ علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن كسر أصنامهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٥]، وواضح توبيخهم بمداهمتهم بالتعجب والإنكار عليهم رغم أن لهم عقولًا، ولكنهم لا يعقلون بها.

وفي مواطن كثيرة «أراد إبراهيم أن يصرف قومه عما هم فيه من الشرك إلىٰ الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له، فاستدرجهم إلىٰ التفكير في شأن الأصنام التي يعبدونها حين قال لأبيه وقومه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾؟ بهذا السؤال الإنكاري الذي يهز الغافلين، وذلك في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[الشعراء: ٦٩-٧٤]»[1].

وبذلك «ناظر أهل الشرك وأدحض حججهم، وبين بطلان عبادتهم، وسوء معتقدهم، فلما بهتوا وقامت الحجة عليهم لجؤوا إلىٰ الشدة والقوة، وألقوه في النار ظنًّا منهم أن ذلك هو طريق الخلاص منه، ولكن الله أنقذه منها، ورد كيدهم في نحورهم وجعل النار بردًا

---

(١) رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)، ص٢٧٤.

وسلامًا علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأخرجوه من أرضهم، وتبرؤوا من دعوته»[1].

ونرىٰ في خطابات إبراهيم جامعية بين العقل والعاطفة الوجدانية الفطرية، وذلك لتأهيل شخصية السامع والقارئ تأهيلًا شاملًا، فمن المنقصة التكوينية للذات المؤمنة تجفيف الحجة عن المؤثرات الوجدانية التي تنزع التسليم من العقل، فتجاهُل الدافع الروحي الشعوري سبب رئيس في تفاقم الإشكالات في التفكير وفهم القيم.

إقناع العقل بعجزه وإثبات صفة القدرة لله تعالى:

من بلاغة الحجة التي منَّ الله بها علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في محاجته قومه، سرعة البديهة التي تتجلىٰ في موقف (النمرود) وهو الطاغية الجبار الذي كان يحكم الأرض التي يعيش فيها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حين حاج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في شأن الله الواحد الأحد سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

---

(١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٦.

و «النمرود بن كنعان، هو أول من تجبَّر في الأرض وادَّعىٰ الربوبية، ولما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالىٰ، وفي المحاجَّة وجهان محتملان: أحدهما: أنه معارضة الحجة بمثلها، والثاني: أنه الاعتراض علىٰ الحجة بما يبطلها، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾؛ يريد أنه يحيي مَن وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل، فعارض اللفظ بمثله، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما»[1].

وقد خيَّب الله النمرود بهذا الرد وأغرقه في عين باطله ليقر بهوانه وضعفه، ورغم ذلك لم يقطع إبراهيم حواره معه، بل ماداه حتىٰ فضح أمره علىٰ العالمين: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، فإن قيل: فَلِمَ عَدَل إبراهيم عن نصرة حجته الأولىٰ إلىٰ غيرها، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلىٰ نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيدًا عليه في الحجة.

والجواب الثاني: أنه لما كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أن يحتج عليه بما لا إشغاب فيه، قطعًا له واستظهارًا عليه قال: فإنَّ اللهَ يَأْتي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

---

(١) النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ١/ ٣٢٩.

مِنَ الْمَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، أي تحيَّر، وقيل انقطع»[1]، وتلك عاقبة المجادل بالباطل ليدحض به الحق؛ خسران وهوان وهزيمة.

رسالة الحواس للعقل وإلزامه الإقرار بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]:

مارس الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في مخاطباته العقلية أسلوب التهيئة والنقض، فهيَّأ لقومه أمورًا افتراضية تنتهي بإثبات بطلانها عقلًا ومنطقًا، ونسوق في ذلك مثالًا يتعلق بالأجرام السماوية وفرضية كونها آلهة جدلًا، ومعلوم أن الكواكب والنجوم كانت تُعبَد قديمًا، وذلك حسب ما تثبته نصوص القرآن والمخلفات الموروثة من معتقدات ومن أعمال أدبية أو فنية كثيرة، وقد أشير إلىٰ ذلك في قصة سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنعام؛ حيث يذكر أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تفكَّر من قبل بالنجم وبالشمس وبالقمر ووجدها مخلوقات زائلة لا تصلح لأن تكون آلهة، وقد منَّ الله عليه برجاحة العقل، وبلاغة الحجة، وسرعة البديهة كما يبدو لنا في محاجته قومه لإبطال الوثنية بالبرهان العقلي، قال تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٠.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٧٤- ٨٢].

فالآيات تخبر أن «إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأىٰ كوكبًا فقال هذا ربي ثم تبين له أنه ليس بإله، فلما رأىٰ القمر بازغًا قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فتبين له أنه ليس بإله، فلما رأىٰ الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون»[(١)].

---

(١) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ)، ص٨٠.

«وَخَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَالِمٌ فِي ابْتِدَاءِ النَّظَرِ إِلَىٰ الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ أَنَّ خَالِقَهُ عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ حِينَ نَظَرَ إِلَىٰ الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ»[1]، «لكنه أراد أن يتدرج بقومه عبَّاد الأصنام درجة درجة حتىٰ يصل بهم إلىٰ اليقين، فلما جنَّ عليه الليل رأىٰ في السماء كوكبًا لامعًا، فقال أمام قومه: سأتخذ هذا الكوكب اللامع إلهًا! فلما أفل أعلن لقومه أنه لا يعبد إلهًا يأفل ويغيب! ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ فلما رأىٰ القمر بازغًا قال (متظاهرًا) هذا أجدر أن يكون إلهًا، فنوره أقوىٰ من نور الكوكب، ولكن القمر بدوره أفل! فتظاهر بالحيرة: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وأخيرًا طلعت الشمس بضيائها الساطع وحرارتها وقوة شعاعها فتظاهر بالفرح الشديد لعثوره أخيرًا علىٰ الإله المنشود! ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ فلما أفلت الشمس أعلن أخيرًا إعراضه عن كل تلك الآلهة الزائفة التي لا تستحق العبادة، وتوجهه للإله الحق الذي فطر السماوات والأرض علىٰ استقامة لا رجوع فيها ولا انحراف عنها (وهذا معنىٰ «حنيفًا») وأعلن براءته التامة من كل شرك في عبادة الله، ونستطيع أن نتصور بطبيعة الحال استنكار قومه لموقفه ومحاجَّتهم

(١) كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م)، ١/ ١٦٩.

إيَّاه، وإن كانوا لا يملكون حجة حقيقية أكثر من أنهم يفعلون كما فعل آباؤهم فحسب!»[1].

وبهذا الدمغ لحجج القوم لا يجد العقل مناصًا إلا أن يردَّ الشخصية إلىٰ مصدر واحد، تتلقىٰ منه قيمها وشرائعها وتنظيم مسيرها، وتجد جوابًا لكل سؤل يجيش فيها، وهي تواجه الحياة والكون والحياة، بكل ما يثار من علامات الاستفهام.

وعندما تتجلىٰ هذه الكينونة في شخصية المسلم... تتمثل فيه شعورًا ومواجدَ سلوكًا، وتتناغم مع ذاته تصورًا واستجابة عقيدة ومنهجًا، دنيا وآخرة، وحينها تصبح في خير حالاتها، وفي أوج قوَّتها الذاتية، وفي أوج انتظامها وتناسقها وقناعتها بهذه العقيدة التي تؤهلها لأعظم الآثار، وتهيئها لتؤدي أعظم الأدوار.

ومن هنا كانت تلاوة القرآن بتدبر «تعرِّفه أي الإنسان الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتشهده الآخرة حتىٰ كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتىٰ كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقًّا والباطل باطلًا، وتعطيه فرقانًا ونورًا يفرق به بين الهدىٰ والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة

---

(١) رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)، ص٢٧٦.

وسرورًا فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فإن معاني القرآن دائرة علىٰ التوحيد وبراهينه والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص وعلىٰ الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم»[١].

ولطالما بلغت هذه الحقيقة أوجها في شخصية المسلم، وصارت مظهرًا من مظاهرها ومركزًا في جوهرها، لطالما اتجهت إلىٰ تحقيق غاية وجودها من العبادة الخالصة التي تتمثل فيها عبودية الإنسان لله تعالىٰ وحده في كل ما يقوم به من شؤون الخلافة.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ١/ ٤٥١.



الخاتمة



بعد هذا التطواف في شعاب البحث تأتي الخاتمة متضمنة في نتائج وتوصيات يبرزها الباحث فيما يلي:

أولًا: أهم النتائج:

١. ضرورة إطالة التأمل والتدبر في قصص القرآن لما لذلك من أثر في تثبيت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشييد بنيانه وتوطيد أركانه، وتبصيره مواقع العبر وتشهده، وتعريفه بالله وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لذا أمر القرآن بإعمال العقل في الآيات الكونية والجوانب المعنوية والآيات التنزيلية والتفكر المخلص والتذكر وغير ذلك.

٢. عظمة منهج إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في تقويم بناء شخصية المسلم، وضرورة دراسته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب علىٰ كل مسلم تجاهها، ليلتزمها في كل شؤون حياته العلمية والعملية، حتىٰ تكون همَّ حياته ومصدر سعادته مدركًا أنه لا معنىٰ لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

٣. جامعية مخاطبة القصص الإبراهيمي لمنظومة البناء الإنساني المادي والمعنوي وللكينونة الشخصية بكل توجهاتها وجمعها علىٰ

مائدة اليقين ودقة التكوين علىٰ العقيدة التوحيدية النزيهة، وإبطال الشرك بكل أشكاله بالحجة والبرهان.

٤. يسوق قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كل مكونات الشخصية من العقل والقلب والروح والفطرة والحواس إلىٰ وجود الله وتنزيهه وتوحيده والتوكل عليه واليقين في نصره للمؤمنين والصبر عند ملاقاة الأزمات بكل ألوانها وأشكالها.

٥. إسقاط قصص إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكل أشكال الإلحاد المعاصرة، وإبطالها لعموم المعتقدات الفاسدة التي تشكك في الله تعالىٰ، وتوقف شخصية المسلم عند أبواب اليقين في وجود الله وفي صدق اليوم الآخر والبعث والغيب بكل مجالاته وأشكاله.

ثانيا: أهم التوصيات:

نخلص مما سبق إلىٰ عدة توصيات أهمها:

١. ضرورة تفعيل دور المؤسسات البحثية القرآنية وأنساقها في إعادة الأمة المسلمة إلىٰ منهج التدبر في القصص القرآني والاعتبار بما فيه من كنوز تمثل منهجًا حياتيًّا آمنًا.

٢. إقامة مؤتمرات وندوات دورية تجمع النخبة من أهل الدراية والاختصاص بغرض دراسة وإعداد خطط عملية للتدبر وسبل تفعيلها، ومن ثَمَّ نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية.

٣.الإعـداد لمشروع مركز كبير يعنىٰ بالتدبر وتأهيله بكافة الإمكـانـات، وصـولًا إلا إنتاج أعظم العبر والقواعد والبرامج الإصلاحية للأفراد والمجتمعات أخذًا بيد الأمة للنهوض عبر قنوات ربانية تضمن لها النجاح والصدارة علىٰ العالمين، علىٰ أن يسعىٰ هذا المركز لطرح وتصدير البرامج والمناهج العملية التي تدعم مناهج المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية القائمة علىٰ تحفيظ القرآن الكريم، ليكتمل البناء ويظهر الأثر العظيم للقرآن في الجيل المعاصر في ظل تحديات العولمة وأنساقها من التحديات المعاصرة التي تواجهه.

هذا غيض من فيض في موضوع التدبر المليء بالكنوز، ولا يزعم الباحث أنه أحاط بكل جوانب الموضوع، ولكنه جهد مقل يبتغىٰ رضوان الله تعالىٰ، والله غالب علىٰ أمره وعلىٰ الله قصد السبيل.

وصل الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.



فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت).

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م).

٣. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولي، د.ت).

٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش، (ط. دار ابن كثير، دمشق بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥هـ).

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م).

٦. الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربي، د.ت).

٧. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، طبعة خامسة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م).

٨. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر بيروت، د.ت).

٩. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ثانية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

١٠. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

١١. تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدىٰ الإسلامي، ط. أولىٰ، ١٤٢٢هـ).

١٢. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٠٥ هـ).

١٣. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت).

١٤. تفسير الماوردي... النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

١٥. التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضـواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).

١٦. جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة بيروت، ط. خامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

١٧. الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق، طبعة أولىٰ، سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

١٨. حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥).

١٩. الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفىٰ، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوىٰ، (طبعة دار الفضيلة، د.ت).

٢٠. رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م).

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت).

٢٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِي بِاللهِ رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت).

٢٣. العقيدة والأخـلاق، محمد سيد طنطاوي، (طبعة دار السعادة، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٨هـ سنة ١٩٩٨م).

٢٤. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم دمشق، ط. ثانية، ١٩٧٩م).

٢٥. العقل والعلم في القرآن الكريم القرضاوي يوسف (بيروت: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٢٦. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبىٰ الفرج ابن رجب الحنبلي، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٢٧. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبىٰ الفرج ابن رجب الحنبلي، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٢٨. الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد (طبعة دار نهضة مصر، د.ت).

٢٩. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالىٰ، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم –دمشق – ط. ثانية – سنة ١٤٠٩هـ).

٣٠. قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابىٰ الحلبي، سنة ١٣٨١هـ ١٩٦٧م).

٣١. كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

٣٢. لسان العرب ابن منظور محمد بن مكرم (بيروت: دار صادر الطبعة الأولىٰ).

٣٣. مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢).

٣٤. مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م).

٣٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣).

٣٦. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت).

٣٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠ هـ).

٣٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولىٰ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ).

٤٠. مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

فهرس الموضوعات